وقفة مع

يُمنى طريف الخولي

توطين العلوم وفلسفتها

تصويب

أن تفكّر كل المعارف

شوقي بن حسن

«العلم لا يفكّر»؛ يقول الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر في إشارة إلى أن القوانين التي وضعها العلم لنفسه، أي تلك التي تجعل منه علماً، هي التي تجعل منه أقرب إلى تراكم منه إلى عملية تفكير عميقة وابتكارية.

اختار هايدغر بمقولته أن يضرب صنماً من أصنام العصور الحديثة، فقد هزّ أُسس قطاع من المعرفة تسود قناعة بأنه الأنشط فكرياً، ومن هنا يضرب القداسة التي أحاط بها العلم نفسه منذ عصر التنوير الأوروبي.

ما فعله الفيلسوف الألماني بالعلم، حين اعتبر بأنه لا يفكّر، لم يفعله مع مجالات أخرى من الثقافة تبدو مقصيّة تماماً من حديقة الفكر، فمثلاً لم يقل هايدغر البتة إن الشعر لا يفكّر، وكيف له أن يقول ذلك وهو الذي أسند الكثير من مشروعه الفكري على محاورة الشعراء؛ هولدرلين وباول تسيلان وروزنيه شار أساساً.

وقياساً على الشعر، يمكن أن نجد الكثير من الفكر في ما لا نعتقد بأنه فضاء، خصب له. لنا أن نقول ذلك على المسرح ونحن نستحضر بريشت، وعن الرواية حين نتذكّر دوستويفسكي، وعن الفن التشكيلي إذا ما قرأنا كتابات بول كلي. هكذا نفهم أن كل هذه المجالات منتجة للفكر ولو جرى إنكار ذلك عليها.

أتت مقولة هايدغر من تخصّصه؛ أي الفلسفة، وهي كما العلم ترتبط بقناعة بأنها فضاء نشيط للتفكير، لكن هل الفلسفة تفكّر دائماً؟

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أسئلة سريعة حول انشغالاته وجديد إنتاجه وبعض ما يودّ مشاطرته مع قرّائه. «أتمنى السير قدماً في الفضاء على كل مركزية ترفض الآخر»، تقول الباحثة المصرية

الفاهرة ـ العربي الجديد

■ ما الذي يشغلك هذه الأيام؟

ينصبّ اهتمامي في الفترة الأخيرة على ترجمة كتاب «علم العلم»، وهو مجموعة دراسات ومباحث تهتمّ بفلسفة العلم، أي تجعل من العلم ظاهرةً في حدّ ذاته. فعلم الرياضيات والعلوم التجريبية تتقدّم بمعرفة أوسع عن شتّى الظواهر الطبيعية والحيوية والإنسانية. لكن، ماذا عن ظاهرة العلم ذاتها وأبعادها وآلياتها وطبائعها؟ ألا ينبغي تفهّمها ومعرفتها، أم هو كما يقال: «كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ/ والماءُ فوق ظهورها محمولُ»؟.

إلى جانب هذا الانشغال هناك طبعاً أعمال التدريس وتغيّراتها في زمن كورونا، حيث فرض علينا الفيروس التواصل عن بعد، عبر المنصات الإلكترونية، وفي هذا الإطار أقوم بإعداد بحث عن غاليليو غاليلي.

■ ما هو آخر عمل صدر لك؟

على المستوى التاليفي، آخر إصداراتي كتاب «توطين المنهجية العلمية: مقاربات فلسفية وتاريخية ومستقبلية»، عن «دار نيوبوك». وفي الترجمة، صدر لي كتاب «تيم كرين، الذهن الآلة: مقدمة فلسفية في الأذهان والآلات والتمثيل الذهني» عن «المركز القومي للترجمة». صدرت لي أيضاً في الشهور الماضية ستة أبحاث علمية محكّمة في ستة بلدان مختلفة، هي: الولايات المتحدة الأميركية وإيطاليا والعراق واليابان والسعودية، فضلاً عن بحث في «مجلّة الجمعية الفلسفية» في مصر.

■ ما هو عملك القادم؟

هو ترجمة لكتاب أندرو مارش - أستاذ مساعد في العلوم السياسية في «جامعة ييل» - بعنوان «الإسلام والمواطنة الليبرالية: بحثاً عن إجماع متشابك»، وهو كتاب ضخم، تحت الطبع حالياً في «المؤسسة العربية للفكر والإبداع» ببيروت، وكان قد صدر عن «منشورات جامعة أوكسفورد» عام 2009. يمثّل هذا العمل سبراً لليبرالية السياسية وتطوّراتها، وبشكل موازٍ لتراث الحضارة الإسلامية وظواهرها الراهنة معاً؛ من أجل تقنين مفهوم المواطنة، استكشافاً لحقوق وواجبات المسلمين المتوطّنين في الغرب، تحت مظلة ديمقراطيات ليبرالية. وفي مقابل المشاكل التي أثيرت في فرنسا أخيراً بشأن الرسوم المسيئة، يتقدّم هذا الكتاب بنمط راقٍ من الحوار بين الإسلام والغرب. إنه إضافة إلى فلسفة التسامح، كي لا نظلّ في الماضي، مرابطين مع الفيلسوف جون لوك في القرن السابع عشر.

■ هل أنت راضية عن إنتاجك ولماذا؟

أنا راضية جداً عن الرسائل الجامعية والدراسات والمقالات التي أصدرتها. حاولتُ تقديم طرح متعمّق متكامل لفلسفة العلوم الغربيّة، لا يقتصر على الاستيراد والترديد، بل يستوعبها ويتجاوزها إلى التفعيل لإثراء ثقافتنا وتوطين الروح العلمية؛ فلا يعود العلم غريباً مُغترباً، مستورداً من الغرب. برضيني أن أساهم في تحقيق التقاطع بين المشترك الإنساني والخصوصية الثقافية، أو بالأحرى التفاعل والتلاقح المثمر الخلّاق بين الثقافات.

اجتهد كي لا تظل فلسفة العلوم مقتصرةً على الاستيراد والترديد

■ لو قُيّض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختارين؟

المسار عينه الذي اخترته عن يقين. كنتُ من أوائل دُفعة الثانوية العامة، وكانت الإمكانيات الدراسية والمادية تتيح لي اختيار أيّة دراسة أريدها. وصمّمت وقتها على دراسة الفلسفة لا سواها. واخترت أيضاً ابن أدرس في «آداب القاهرة»، حيث قسم الفلسفة أعرق قسم في أعرق كلّية في أعرق جامعة في البلد. صدرت العشرات من أبحاثي وإسهاماتي ومشاركاتي في مراكز الأبحاث والمؤتمرات الدولية، ومثّلت بلدي في حوالي ثلاثين بلداً، وطلبتي يُعَدّون بعُدد يتكوّن من أربعة أصفار في أربع قارات، كما أنني حصدت 15 جائزة علمية، مع هذه المسافة، استطيع القول بأن كلّ لحظة أقضيها في محراب الفلسفة تثبت لي أن اختياري هو الأروع.

راضية عن عملي لجمع المشترك الإنساني والخصوصية الثقافية

■ ما هو التغيير الذي تنتظرينه أو تريدينه في العالم؟

لقد انتهى عصر الاستعمار القديم، عصر المركزية الغربية وواحديةّ نموذجها. واتمنّى السير قُدُماً في الفضاء على كل مركزيّة/ واحديّة ترفض الآخر وقد تنكّل به، لأن المركزيّة والواحديّة هما مصدر الاستبداد والتطرّف والإرهاب. اتمنّى أن يواصل العالم السير في اتجاه التعدّديّة الثقافية؛ تعدّديّة الرأي والاتجاهات. التنوّع البشري الخلّاق هو الذي يصنع ثراء الحضارة الإنسانية وتالقها، من دون تفريق بين مركز وأطراف، أو متبوع وتابع.

■ شخصية من الماضي تودّين لقاءها، ولماذا هي بالذات؟

الحسن بن الهيثم. لأنّ العلم أنيل ظواهر الحضارة، وفلسفة العلم أشدّ فروع الفلسفة تجريداً وتمثيلاً للتطوّر الحضاري والذهني، والمنهج العلمي عصب فلسفة العلم. هذا الرجل أسّس علوم الضوء والإشعاع، وهو رائد عظيم في منهج العلم الرياضياتي التجريبي، نظريةً وتطبيقاً. وهو شخصية محوريّة في تاريخ العلم. ساهم كثيراً في التمهيد والتأسيس لثورة العلم الحديث، وهذا ما فصّلته في بحثي: «ابن الهيثم في أوروبا إبّان عصر النهضة»، الصادر أخيراً في إيطاليا باللغة الإنكليزية. وفي وقت سابق كنت قد أنجزت حول ابن الهيثم بحثاً نُشر في أميركا، عن تطويره لمفاهيم الفيزياء الرياضية، وخصوصاً مفهوم المكان.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

يُمنى طريف الخولي

بطاقة

باحثة مصرية متخصّصة في فلسفة العلوم، من مواليد 1955. استاذة في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وباحثة زائرة في عدد من مراكز الأبحاث والجامعات في اليابان ونيجيريا والمانيا. صدرت لها إلى الآن قرابة الثلاثين كتاباً. من مؤلفاتها: «الحرية الإنسانية والعلم: مشكلة فلسفية» (1990)، و«فلسفة العلم في القرن العشرين» (2000) ومن ترجماتها: «اسطورة الاطار» لكارل بوبر، و«ثلوية العلم» لليندا جين شيفرد.

إطلالة

طه حسين وصفةٌ صالحة لزماننا

التنوير بالترجمة

انتبه طه حسين إلى المكانة المتميّزة التي للترجمة في حياة الأمم والى الدور الكبير الذي ينبغي ان تقوم به بغاية الارتقاء بها وتنميتها

مزوار الإدريسي

كثيرا ما نُصادِف في مجال القراءة كُتُباً ونصوصاً غُني بترجمتها كُتّاب مرموقون، حرّك إقبالهم عليها هاجسُ إدخال الجدّة في ثقافتهم المُضيفة، لإحداث التغيير فيها عبر تلقيحها بالغريب. ولا يختلف اثنان على أنّ طه حسين من أبرز هؤلاء في محيطنا العربي، في القرن الماضي، ويكاد جميع المثقّفين العرب يُجمعون على ريادته في حقول معرفية متنوّعة، وعلى موسوعيته، وعلى استحقاقه عمادة الأدب العربي.

وللاستدلال على مكانة طه حسين في الثقافة العربية الحديثة يكفي التذكير مثلاً بالمشروع الضخم الذي أشرف عليه، والذي عُرف بـ«لجنة التأليف والترجمة والنشر»، الذي عرض له في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» (1938). لقد قدَّم طه حسين من موقعه الأكاديمي وداخل الدولة التي تحمّل فيها مسؤولية وزارة المعارف- الثقافة ما يخدم به المجال الذي يدخل ضمن اهتماماته؛ فعمل على إخراجه إلى النور، بعد أن خطّط له، ودشّنه، وسهر على اشتغاله وتفعيله، بل إنه كان من المُسْهِمين فيه، عند انطلاقه في مستهلّ الخمسينيات، بترجمته إلى العربية عدداً لا بأس به من الأعمال الأدبية، إلى جانب نشر بعض مؤلّفاته وتحقيقاته.

كان طه حسين يعي أنّ «على الدولة المسكينة يقع هذا العبء [...] أن تُنشئ مكتباً للترجمة على أن يكون عمله منوّعاً بعض الشيء، فينهض بنقل الآثار الأدبية والعلمية والفلسفية الخالدة التي أصبحتْ تراثاً للإنسانية كلّها، والتي لا يجوز للغة حيّة أن تخلو منها [...] ثم يُترجم هذا المكتب الآثار الثقافية الوسطى التي تتّجه إلى عامّة المثقّفين».

يُطلعنا مشروع «لجنة التأليف والترجمة والنشر» على بعض من الجبهات التي ناضل طه حسين متنقّلاً بين متاريسها المتعدّدة، لكنّ الذي يهمّنا أكثر هنا هو انتباهُه إلى المكانة المتميّزة التي للترجمة في حياة الأمم، وإلى الدور الكبير الذي ينبغي أن تقوم به بغاية الارتقاء بها وتنميتها، وهو ما يقتضي تدخّل أطراف أخرى كثيرة، لأنّ «الواضح جدّاً أنّ هذا المكتب لن يستطيع وحده أن ينهض بهذه الأعباء الثقال، فلا بُدّ من تشجيع المترجمين وإغرائهم بالمال؛ ومهما تبذل وزارة المعارف في ذلك فلن تندم عليه؛ لأنه سيُغني اللغة ويُحييها».

لقد أخذ طه حسين عالمَنا العربي على عدم إيلاء الترجمة الاهتمامَ الذي تستحقّه، واعتبر أنّ إهمالها يُفوّت على العرب الإفادة من «الآثار العلمية والفنية والأدبية التي تنعم بها الإنسانية الراقية»، ويَحرمهم «من الاستمتاع بلذاتها النقية الممتازة». واحتجّ لدعواه بمُعطى تاريخي دامغ يكشف عن تخبّط العرب في العصر الحديث، أو بالأحرى تناقضَهم، فنحن «ما أكثر حديثنا عن مجد العرب الأوّلين حين أقبلوا في شَرَهٍ رائع على آثار الأمم المتحضّرة، فنقلوها إلى لغتهم، ومزجوها بتراثهم، وغذّوا بها عقولهم وقلوبهم، وكوّنوا منها حضارتهم». لكنّ هؤلاء المتبجّحين بماضيهم هم نفسُهم الذين يعرقلون مشاريع الترجمة، أو يصرفون الناس عنها، بل منهم من يُندّد بها بدعاوى كثيرة، وهم لا ينتبهون إلى أنّنا «نحن من غير شك أقلّ الأمم حظّاً من الترجمة، وأقلّها علماً لا أقول بدقائق الحياة العقلية الأوربية، بل أقول بأيسر مظاهرها، ومصدر ذلك أننا نجهل كثيراً من اللغات الأوربية».

لا ترجمة إلّا إذا تَوافَر شرط الانفتاح على ثقافة الآخر

(أكاديمي ومترجم من المغرب)

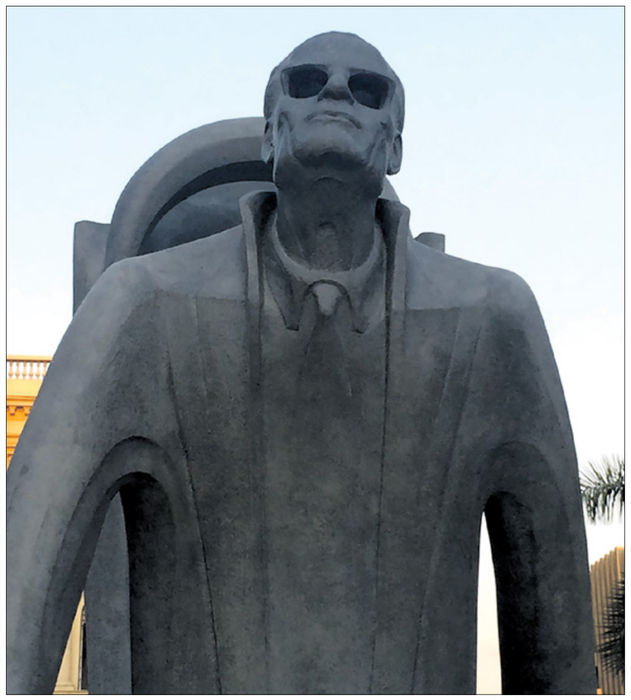
طه حسين في منحوتة لعبد الهادي الوشاحي (1996)

وفي الوقت الذي دافع فيه طه حسين عن حقوق المترجمين، نجده يُطالب بمراعاة حقوق فئة الفُقَراء والكُتّاب التي لا تقرأ في غير لغتها؛ فيرى ضرورة أنْ يُترجَم لها ما يدور في الثقافات الأخرى، ويُلحّ على أنّ في «ذلك حقّاً لها على الدولة، وهو حقّ على المثقّفين القادرين على الترجمة».

هكذا ننتهي إلى أنّ الموقف الفكري التنويري لطه حسين يجد صداه في موقفه من الترجمة، التي شرْطُها الأساسي هو الحرية أيضاً، فلا ترجمة ممكنة إلّا إذا توافر لها شرطُ الاستعداد للانفتاح على ثقافة الآخر بحرية، لأنها السبيل إلى الإبداع بمرّ عبر الحرية، «ومن المحقّق أنّنا لن نؤلّف التآليف الذي يُرضي حاجتنا إلى العلم والأدب إلّا إذا ترجمنا وأكثرنا من الترجمة».

متابعة

عودة الانتفاضات إلى النقاش مع مرور عقدٍ على اندلاعها

تذكّرٌ فرنسيّ للربيع العربي

بعد أن تراجع الاهتمام الفرنسي بأخبار الربيع العربي في السنوات الأخيرة، تأتي ذكرى مُضي عقد على اندلاع الثورات لتُعيد الحدث إلى الواجهة

باريس ـ العربي الجديد

منذ بدايته، قبل عشرة أعوام، لم يكن الربيع العربي حدثاً منغلقاً على البلدان العربية. شرارة الانتفاضات انتقلت إلى أماكن أخرى في المعمورة. وكما طالب الذين خرجوا إلى الشوارع، في تونس ومصر وسورية وليبيا والبحرين وغيرها، بالحرية والعدالة وإيقاف القمع والرقابة، فإنهم أرادوا أيضاً الخروج من الصناديق التي أغلقها الحكّام على بلدانهم؛ أرادوا رؤية العالم الذي ينتمون إليه، والعودة إليه بعد سنين من العزل والدكتاتورية. هذا العالم، بناسه ومثقفيه وصحافييه على الأقل، كان يتابع ما يجري في البلدان العربية، وما زال يفعل ذلك، رغم انخفاض الوتيرة في السنوات الماضية، وتحوّل الأوضاع في بلدان مثل سورية وليبيا إلى يوميات لا تغري الإعلام الباحث عن الجديد والمثير. لكنّ ذكرى مضيّ عقد كامل على اندلاع الثورات العربية تُعيد الحدث إلى الواجهة من جديد، في فرنسا على الأقل، إذ لا يكاد يمضي يوم من دون نشر مقالات وتحقيقات، أو تخصيص أعداد مجلات، أو عقد حلقات إذاعية أو ندوة حول وضع هذه الثورات بعد عشرة أعوام من انطلاقها، وحول حصيلتها، والتغيير الذي أحدثته.

من الإصدارات الدورية التي خُصّصت كاملة للثورات العربية، العددُ الأخير من المجلة البحثيّة «كونفلونس ميديتيرانيه» (ملتقيات البحر الأبيض المتوسّط)، والذي تمحور حول عنوان «الثورات والثورات المضادة في العالم العربي»، وكتب فيه باحثون مثل برتران بديع، وجان بيير فيليو، وزياد ماجد، وليلى بورقيبة، حول الأوضاع التي تعرفها سورية وليبيا ولبنان والجزائر ومصر وتونس. ويُذكر هنا أن «معهد بحث ودراسات المتوسط والشرق الأوسط» الفرنسي يخصّص نصف هذا العام لسلسلة من المحاضرات تحت العنوان نفسه تقريباً: «الثورات والثورات المضادة حول المتوسط وفي الشرق الأوسط (2011 - 2021)».

مقالات وإعداد مجلات ومحاضرات لمناقشة حصيلة الربيع العربي

دورية أخرى توقفت في عددها الأخير، الصادر حديثاً، عند ذكرى الربيع العربي هي «أرابوراما»، التي يصدرها «معهد العالم العربي» بالتعاون مع دار نشر «سوي». وتحت عنوان «كان يا ما كان... الثورات العربية»، كتب العديد من المثقفين والكتّاب والصحافيين، مثل زكية داوود وعلاء الأسواني وكريستوف عيّاد وزهراء علي، حول مواضيع مثل «الجسد ثائراً» (لعبير قريقة) أو حول «مواجهة العنف» (لأكرم بلقايد).

من جهتها، أطلقت إذاعة «فرانس كولتور» سلسلة من أربع حلقات تتساءل فيها عن أحوال «الربيع العربي بعد عشر سنوات». وتطرح كل واحدة من حلقات السلسلة أسئلةً تخصّ بلداً بعينه، كمسألة الديمقراطية في تونس (الحلقة الأولى)، وسيطرة العسكر على السلطة في مصر والسودان (الثانية)، أو النزاع الأهلي والتدخّل الخارجي في سورية وليبيا (الثالثة)، إضافة إلى مسألة الطائفية وضرورة تجاوزها في العراق (الرابعة).

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

رجلٌ يتمشى ليلا في مدينة اريحا شمال سورية، 2020. تصوير: عمر حاج قدور (Getty)

فعاليات

حتى 16 ايار/ مايو المقبل، يحتضن **متحف ديلارا باسيس** في روما معرض **اطلال** للمصوّر التشيكي **جوزيف كوديلكا**. يجمع المعرض صوراً بالابيض والاسود من مواقع اثرية زارها كوديلكا على مدى اربعين عاما جميعها يطل على البحر المتوسط، من ايطاليا الى تونس، مروراً بلبنان وليبيا واليونان و تركيا ومصر.

القرآن: تاويلات، نسوية وإعادة التدليك عنوان ندوة فكرية تقام عبر تطبيق زووم مساء اليوم السبت، السادس من الشهر الجاري، تنظّمها منشورات **تركيز** في تونس وجمعية **Lallab**. تشارك في الندوة اربع باحثات، هنّ: الباحثة **امينة ودود**، والطبيبة والكاتبة **اسماء المرابط**، والباحثة في العلوم الاجتماعية **مليكة حميدي**، والباحثة في العلوم الفيزيائية **إيناس صافي**.

حتى نهاية الشهر الجاري، يتواصل في **قاعة بوشهري للفنون** بالكويت اول معارض الموسم الجديد الذي اطلق في الخامس والعشرين من الشهر الماضي. يضمّ المعرض اعمالاً لعدد من الفنانين، من بينهم **راشد دياب** من السودان، و**عبد الهادي شلا** من فلسطين، و**شلبية إبراهيم** (اللوحة) من مصر، و**جعفر إصلاح** من الكويت.

يتواصل حتى 11 شباط/ فبراير الجاري **معرض الكتاب الافتراضي** الذي تنظّمه **دار العين** المصرية، والذي انطلقت فعالياته في 26 كانون الثاني/ يناير المنقضي. تهدف المبادرة الى تعويض الفراغ الذي تركه تأجيل «معرض القاهرة الدولي للكتاب»، والذي يُقام عادةً في الفترة نفسها تقريباً من كل عام.